

أزمة التداخل اللغوي بين العامية والفصحى في المدرسة الجزائرية

The Linguistic Interference between the Dialects and the Standard Arabic in the Algerian school

أ. أحمد برماد
أستاذ مساعد - جامعة جيجل
Univer.Ahmed@yahoo.fr

ملخص

تتميز البيئة اللغوية الجزائرية بثراء وتنوع كبيرين، هذا الثراء والتنوع بقدر ما يعبر عن مؤشر صحي للتعيش الاجتماعي والثقافي واللغوي للجماعات اللغوية المشكلة لهذا المجتمع، بقدر ما يشكل تهديدا حقيقيا على هوية الفرد الجزائري خاصة إذا لم يتم استثمار هذا التنوع/ التعدد في المنحى الإيجابي السليم الذي ينتج فردا واعيا بواقعه اللغوي والمحيط الذي يعيش فيه، ويزداد هذا الوضع خطرا في المدرسة إذا لم يتم استثماره استثمارا إيجابيا، والتعامل معه بحذر من أجل تكوين متعلم قادر على تجاوز سلبيات التعدد والازدواجية بكل مظاهرها (الصوتية والصرفية والتركيبية..)، وعليه تضطلع المناهج التعليمية والسياسات اللغوية بمهمة وصف هذا الواقع، وبالتالي تنظيمه على مستوى المحيط التعليمي والاجتماعي والثقافي، وذلك لتجنب تأثيرات التداخل اللغوي خاصة في المراحل العمرية الأولى للفرد الجزائري.

الكلمات الدالة: التداخل اللغوي- الازدواجية، الثنائية، المدرسة الجزائرية، اللغة الفصحى.

Abstract

The Algerian linguistic environment is characterized by its richness and diversity. while such diversity reflects the healthy social, cultural, and linguistic coexistence of the linguistic communities of this society, it can threaten the identity of the Algerian individual particularly if it is not exploited in a positive way creating an individual who is conscious of his/ her diverse linguistic landscape as well as the environment where he/she lives. This situation becomes more dangerous in the school if it is not exploited positively and treated with caution and awareness in order to form a learner capable of overcoming the disadvantages of bilingualism and the diversity of the language in all its aspects (phonetics, morphology and syntax). Therefore, it is the educational curricula role to describe this language situation and to organize it at the educational, social, and cultural level to avoid the effects of linguistic interference especially at the early age of the Algerian individual.

Keywords: : Language Interference, Bilingualism, Algerian School, the Standard Language.

بلغته الأصلية ملامح صوتية وتركيبية ومعجمية و صرفية خاصة بلغته أجنبية أخرى⁽⁶⁾، وبتعبير آخر فإن التداخل اللغوي يعني تبادل التأثير والتأثر بين لغتين مختلفتين، وقد تم في هذا المجال التمييز بين مصطلحي التداخل والتدخل وإن لم يسلمنا من الخلط كما حدث بين مصطلحي الثنائية والازدواجية، فبعضهم يرى أن التدخل اللغوي " يسير في اتجاه واحد أي أن اللغة (أ) تتدخل في اللغة (ب) إذا كان الفرد يعرف اللغتين (أ) و(ب)"⁽⁷⁾ وعليه فإن الفرق الجوهرى بين المصطلحين يكمن في كون التداخل يعني تأثيرا وتأثرا بين لغتين في حين أن التدخل اللغوي هو تأثير في اتجاه واحد دون حدوث العكس، وهذا التأثير الذي يكون بين اللغات يمس الجوانب التركيبية والمعجمية والنحوية...، وما يحدث بين اللغات يقع أيضا بين اللهجات وإن كان بعضهم يحصر مصطلح التداخل ضمن إطار اللغات أي في البيئات التي تتوفر فيها الثنائية اللغوية⁽⁸⁾.

إن المتتبع لهذه المصطلحات خاصة ما تعلق منها بالازدواجية والتداخل اللغوي يجد أن الدارسين العرب لم يغلوا هذه القضايا، بل تنبهوا إليها وعالجوها بكثير من الدقة والمنهجية العلمية، وما كتب الدخيل والمغرب إلا خير دليل على ذلك، والملاحظ كذلك أن هذه القضايا لم تثر في تراثنا العربي إلا بعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية واختلطت القبائل العربية بعضها ببعض، وكذلك مع الأمم المجاورة لها والداخلت في دين الإسلام، "إذ إن العرب الفاتحين الذين تناوشوا الممالك المفتوحة تناوشتهم هي الأخرى بتأثير لهجي لم يكن لهم محيص عنه"⁽⁹⁾، وإن كان من الدارسين من يحاول تأصيل ظاهرة الازدواج في البيئة العربية إلى الفترة الجاهلية، والحقيقة غير هذا، ذلك أن اللهجات العربية التي كانت في الجاهلية كانت معربة، وأن الحالة اللغوية التي كانت سائدة آنذاك لم تصل إلى حد الازدواج اللغوي فالفرق بين اللغة الموحدة التي كانوا يتخذونها في أشعارهم وأسواقهم لم تكن بعيدة عن لهجات قبائلهم، ودليل ذلك أيضا أن هذه اللهجات العربية تعد حجة روي بها كثير من التراث، فيمكن بالتالي الاطمئنان إلى الوضع اللغوي الذي كان سائدا في الجاهلية وإلى نهاية عصور الاحتجاج إذ كانت فيه الملكة اللسانية مستحكمة في أهلها كما يرى ذلك ابن خلدون، لكن الإشكالية التي تطرح نفسها في هذا المقام تكمن في الواقع الذي اللغوي الذي آل إليه المجتمع العربي بعد تمازج الأمم وتداخل القبائل مما طرح إشكالية التداخل والازدواجية خاصة في بيئة تعتر بلغتها وتسعى إلى المحافظة عليها، وتعليمها للناشئة.

العامية (اللهجة) Dialecte

من الأمور الطبيعية في أي نظام لغوي توافر لهجات ضمن النظام اللغوي الواحد، فقد عاشت العربية هذه الظاهرة منذ القدم، حيث إن المجتمع العربي عاش بنظامين لغويين مختلفين نظام الثقافة والأدب والعلم وقوامه الفصحى المشتركة، ونظام التخاطب اليومي وقوامه اللهجات العربية المعروفة والمنتشرة في أنحاء الجزيرة العربية، وبين هذه وتلك فوارق ثقافية

يطرح الواقع اللغوي الجزائري إشكالات كثيرة خاصة إذا علمنا الواقع الهجين الذي يميز البيئة اللغوية الجزائرية، التي تتوفر فيها مختلف الظواهر (ازدواجية، ثنائية)، وقد يتحوّل هذا الواقع اللغوي إلى إشكال حقيقي في غياب سياسة لغوية واضحة وتخطيط محكم يوجه هذه السياسة، بل وتتعاظم إفرزات هذا الواقع اللغوي إذا تعلق الأمر بالمدرسة أو المحيط التعليمي، لأن الأمر يتعلق بمتعلم ناشئ مستعد لاكتساب كل الأخطاء واعتمادها في سلوكاته اللغوية، ومن ثم يصبح التفكير في الآليات التي يمكن من خلالها تلافي إفرزات هذا الوضع أمرا حتميا وواجبا، وهو أمر لن يتم إلا من خلال تشريح الواقع اللغوي في البيئة المحلية، وتقديم قراءة سليمة للسياسات اللغوية العامة والتعليمية بصفة خاصة وهذا ما تسعى إلى بلوغه هذه الدراسة.

1. مصطلحات الدراسة

الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية

إن الملاحظ للدراسات التي تناولت المصطلحين: (ازدواجية وثنائية) يجد أن هناك تضاربا وخطا كبيرين في تحديد مفهوم كل منهما، وهذا قد يرجع إلى الترجمة أحيانا وقد يرجع في أحيان أخرى إلى مجرد خلط وسوء فهم لهما، وعليه نقول إن مصطلح ازدواجية هو ترجمة للمصطلح الانجليزي Diglossia وهو يعني " وجود مستويين لغويين في بيئة واحدة"⁽¹⁾ أي وجود مستويين من اللغة يتبادل عليهما أبناء تلك اللغة بحسب المواقف والسياقات التي تحدد استخدام مستوى دون آخر (لغة الحياة اليومية، لغة الفكر والأدب...) وهو ما أكد عليه أحد الدارسين حين قال: " إن مصطلح ازدواج لغوي يدل على توزيع الاستعمالات في كل من اللغات بحسب الظروف والموضوعات الخاصة ويترافق هذا التوزيع عموما مع انتشار إحدى اللغات."⁽²⁾، في حين تعني الثنائية اللغوية وجود لغتين مختلفتين (قومية وأجنبية) عند فرد ما أو جماعة ما في آن واحد⁽³⁾ بمعنى وجود نظامين أو عدة أنظمة لغوية في البيئة الواحدة، وإذا كان بعضهم يخلط بين المصطلحين فإننا سنعتمد المفهومين السابقين وذلك لقرب دلالة المصطلحات من معناها اللغوي وهو شرط من شروط الاصطلاح إذ أورد ابن منظور في هذا قوله: " والأصل في الزوج الصنف والنوع من كل شيء، وكل شيئين مقترنين"⁽⁴⁾ وهو ما يوافق ما أوردنا على الأقل من هذا الوجه، أما بالنسبة للثنائية فهي "تطلق على متقابلات الأضداد كالخير والشر والنور والظلام والفقر والغنى."⁽⁵⁾.

التداخل اللغوي

يشير مفهوم التداخل اللغوي في أدبيات البحث اللساني اليوم إلى وضعيات تواصلية لغوية مختلفة تختلف فيها اللغة المستعملة حسب الوضعية والسياق أو الحاجات والغايات، وبعبارة أخرى فإن التداخل اللغوي يعني " أن يستخدم المتكلم

التعدد اللغوي

التعدد اللغوي من الظواهر الطبيعية في المجتمعات، إذ من الصعب أن تجد مجتمعا أحادي اللغة، فهو دليل صحي على احتكاك وتواصل الشعوب والحضارات والثقافات فيما بينها، وإن اختلفت أسبابه بين اجتماعية وسياسية وتاريخية، لكنه يبقى ظاهرة صحية في الواقع، وقد وردت الإشارة إلى الظاهرة في القرآن الكريم في قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ» (الروم 22)، ويعرف الباحثون التعدد اللغوي بكونه استعمال لغات عديدة داخل مؤسسة اجتماعية معينة، أو بعبارة أخرى فإن التعدد اللغوي هو استعمال المتكلم لأكثر من نظام لغوي في المجتمع الواحد، وإذا كان الأمر كذلك فإن التعددية قد تصدق على الفرد كما تصدق أيضا على المجتمع، فهو يعبر كذلك عن "الوضعية اللسانية المتميزة بتعايش لغات وطنية متباينة في بلد واحد على سبيل التساوي، إذا كانت جميعها لغات عالمة كالألمانية والفرنسية في الجمهورية الفدرالية السويسرية، وإما على سبيل التفاضل إذا تواجدت لغات عالمة كالعربية بجانب لغات عامية" وعليه فإن التعدد اللغوي يشمل التنوع اللغوي ضمن البيئة اللغوية أو المجتمع الواحد سواء بين نظام لغوي معين وأنظمة لغوية أخرى مختلفة، أو بين النظام اللغوي واللهجات أو العاميات المنتمية له، وعلى هذا يكون التعدد اللغوي جامعا لكل من الثنائية اللغوية باعتبارها جمعا لنظامين لغويين، وبين الازدواجية اللغوية باعتبارها حضور مستويات لغوية أخرى إلى جانب اللغة الأولى الفصحى.

2- الواقع السوسيو لغوي الجزائري

يتميز المشهد اللغوي الجزائري بخصوصية تجعله متفردا في كثير من جوانبه؛ فهو يتميز بمظهرين متناقضين في الظاهر ومنسجمين في الواقع هما التعايش والصراع⁽¹⁵⁾ وهو مشهد يترتب من ثلاثة أجزاء:

1- مشهد اللغة العربية الفصحى المشتركة المعاصرة باعتبارها لغة الرسمية ولغة الإبداع العلمي والأدبي والثقافي، واللغة المشتركة بين المبدعين والمثقفين.

2- مشهد العامية واللهجات المحلية: وهي مرتبطة أساسا باللغة الفصحى وتستهمل في قضاء الحاجات التواصلية اليومية بعيدا عن المستوى الرسمي، ويضاف إلى هذا اللهجات ذات الامتداد القطري ممثلة في اللهجات الأمازيغية التي تتمتع بخصوصيتها ومخزونها الثقافي، وقد تأخر الاعتراف بها على المستوى الرسمي إلى سنة 2002م، بل وتأخر اعتمادها في المنظومة التربوية التعليمية فهي تسير بخطوات متناقلة.

3- مشهد اللغات الأجنبية: وتأتي على رأسها اللغة الفرنسية وذلك لاعتبارات تاريخية واقتصادية واستراتيجية، إذ تستعمل

اجتماعية، ولكل نظام وبنية سياقات يستعمل فيها. يعرف إبراهيم أنيس اللهجة بقوله: "عبارة عن مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تجمع بين هذه اللهجات"⁽¹⁰⁾، وعرفها أحد الباحثين بقوله: "نمط من الاستخدام اللغوي داخل اللغة الواحدة يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية الخاصة، ويشارك معها في جملة من الخصائص اللغوية العامة"⁽¹¹⁾ وعلى هذا تكون اللهجة شكل من أشكال الأداء داخل النظام اللغوي الواحد، يتميز عن غيره من الأداءات في خصوصياته المشكلة له، ويشارك معها في علاقته بالنظام الشامل الجامع لها وهو اللغة، وبالتالي فإن علاقة اللغة باللهجة هي علاقة العام بالخاص "حيث تشمل اللغة الواحدة عدة لهجات متباينة في خصائصها اللغوية، مع اشتراكها في صفات لغوية أخرى تجمع بينها"⁽¹²⁾

الفصحى

عرفها أحد الباحثين بقوله: "هي اللغة التي تشتمل على نظام لربط الكلمات بعضها ببعض وفقا لمقتضيات دلالتها العقلية التي تتضمنها قواعد النحو فيمكنها بالشكل الأيسر والأفضل من التعبير عن المعاني"⁽¹³⁾ وهو تعريف نلمس فيه حضور نظرية النظم لصاحبها عبد القاهر الجرجاني، ومهما اختلفت زاوية الحكم على الفصحى فإن مجمل التعريفات تصب في سياق واحد وهو الطابع المعياري الصارم للغة الفصحى فهي التي تخضع لقواعد الإعراب الشكلية وتتحكم فيها الموازين الصرفية، وهي عندنا اليوم اللغة التي تستعمل في المعاملات الرسمية، وعلى مستوى الإنتاج الأدبي والفكري والثقافي فهي "لغة الكتابة التي تدون بها المؤلفات والصحف والمجلات، وشؤون القضاء والتشريع والإدارة، ويؤلف بها الشعر والنثر الفني، وتستخدم في الخطابة والتدريس والمحاضرات، وفي تفاهم العامة إذا كانوا بصدد موضوع يمت بصلته إلى الآداب والعلوم"⁽¹⁴⁾، والملاحظ أن الفصحى في البيئة العربية اليوم قد انحصرت في مظهرها الكتابي فقط على مستوى الإدارات أو على مستوى الإبداع الأدبي والعلمي إلا فيما ندر، حيث تهيم العامية واللهجات الأخرى على الواقع اللغوي العربي، ولا يشذ الواقع الجزائري عن هذا حيث تغيب الفصحى عن الاستخدام اليومي إلا في حدود ضيقة جدا. ولعل سبب هذا النفور يرجع في بعض جزئياته إلى تأثيرات اجتماعية وثقافية وأحيانا عرقية محلية، يضاف إلى ذلك طبيعة اللغة الفصحى بما تتميز به من إعراب وصرامة وتشديد في سلامة التراكيب والأبنية الصرفية، وسلامة الأداء الصوتي لها، مما قد يخلق نوعا من الصعوبة والعسر في استعمالها في الواقع اليومي.

أو بين العربية والإنجليزية بدرجة أقل.

3- الازدواجية: والتي تعني حضور مستويات متنوعة للغة الواحدة، وهو حاصل بين العربية ولهجاتها أو بين الفصحى والعامية.

وعليه فإن السؤال الذي يطرح نفسه وبإلحاح في هذا المقام هو مدى تأثير هذا الوسط اللغوي بما يمتاز به من تعدد وثنائية وازدواجية على المحيط التربوي والتعليمي، وإلى أي مدى يمكن أن تسلم تعليمية اللغة العربية الفصحى من إفرزات هذا الواقع؟ وهل يمكن أن يشكل هذا التنوع ثراء للمتعلم؟ أم يشكل عائقا لديه في اكتساب مهاراته اللغوية أولا، وكفاءاته العلمية ثانيا وذلك باعتبار حضور المكون اللغوي في كل هذا، ويزداد هذا الأمر خطورة في الطرح في ظل دعوات تعويم اللهجات العامية وإقحامها في تعليم المستويات الفصيحة، فإلى أي مدى يمكن اعتبار هذا الطرح سليما من الناحية الإجرائية ومن الناحية النظرية كذلك والعلمية؟

3- الواقع اللغوي في المدرسة الجزائرية

1- وصف الواقع (مكمن المشكلة)

يقول أحد الباحثين: "إننا ن فكر ونتكلم ونغني ونتمتم في صلواتنا ونناغي أطفالنا ونهمس في آذان من نحب ونتفاهم مع من نرغب في التفاهم معهم بلغة محلية سلسة تتميز بفقدان الإعراب، وبغنى الحروف المصوتة وتتميز كذلك بمرونة في التركيب وسهولة في التعبير ولا تتطلب منا جهدا، ولكن في حياتنا الرسمية في التعلم والقراءة والكتابة علينا أن نتلبس بشخصية لغوية ثانية فتتكلم لغة معربة شديدة الإحكام في التركيب والتعبير⁽¹⁷⁾، وهو الأمر الذي يعيشه المتعلم اليوم في المدرسة الجزائرية؛ فإنه يتعلم في المدرسة اللغة العربية الفصحى ويمارس في محيطه الاجتماعي اللغة العامية أو الأمازيغية وأحيانا الفرنسية فهو يتأرجح بين ثلاثة مستويات، يقول أحد الباحثين واصفا هذا الواقع " فصي حالة وجودهم وأثناء تفاعلهم مع المعلم أو المدير يحاولون جاهدين استعمال اللغة العربية الفصيحة، وإن لم تؤهلهم قدراتهم إلى تحقيق ذلك، وأثناء التواصل فيما بينهم أثناء مختلف النشاطات التعليمية داخل القسم فإنهم يتحررون من النمط المعياري ويتكلمون مستوى لغويا تسيطر عليه لغة المتمدرسين الشفهية التي يميزها استخدام قواعد نحوية بسيطة وسقوط الحركات والاختلاس وإقحام المفردات العامية، أما خارج القسم وبعيدا عن أنظار المعلم فإن سلوكياتهم اللغوية تسيطر عليها ملكة تتأرجح بين الاستعمال الأقل معيارية واللغة التي يتحدثها المتمدرسون"⁽¹⁸⁾ هذا الواقع اللغوي قد يفرز لنا ظاهرة غير صحية وغير سليمة تتمثل في تداخل الأنظمة والمستويات اللغوية فيما بينها مما يشكل عائقا حقيقيا أمام تحصيل اللغة الفصحى أو اللغة الثانية والشكل التالي يفسر هذا التداخل:

في نطاق لا بأس به في المجتمع الجزائري، وفي قطاع واسع على مستوى الإدارات العمومية والمؤسسات الاقتصادية برغم المراسيم والقوانين المنظمة للغة التواصل داخل الإدارات ذات الطابع العمومي.

وإذا سلمنا بأن الواقع اللغوي الجزائري يتركب بهذا الشكل وبهذه الصورة فإننا نجد أنفسنا أمام مستويات متنوعة من التواصل اللغوي هي:⁽¹⁶⁾

1- مستوى التواصل الرسمي: أي المقامات التواصلية الرسمية وتستهمل فيها اللغة العربية الفصحى، وهي لغة معاصرة مشتركة، وهي لغة الإدارة والمؤسسات التعليمية ولغة الإبداع العلمي والثقافي والأدبي.

2- مستوى التواصل اليومي: ونقصد به مستوى التواصل غير الرسمي والذي يقوم على استعمال اللغة لأغراض الحياة اليومية، وهو يشكل أساسا من اللغة العامية واللهجات المحلية الأمازيغية وفق التوزيع الآتي:

1- التواصل الأمازيغي: وهو تواصل يتم ضمن فئات محددة تمتاز بخصوصيتها الثقافية والعرقية، وانتماءاتها الجغرافية واللغوية بطبيعة الحال، واللغة الأمازيغية هي لسان حال السكان الأصليين بالشمال الإفريقي، وهي تتنوع جغرافيا في الجزائر بين منطقة القبائل الكبرى (بجاية تيزي وزو) ومنطقة الهضاب (باتنة- خنشلة- أم البواقي) وأجزاء من الجنوب الشرقي وأقصى الجنوب ووسط الصحراء (الترقية الشلحية المزابية) بكل من (ورقلة غرداية تمنراست إيزي)، وقد تأخر - كما هو معلوم - الاعتراف بها على المستوى الرسمي إلى سنة 2002م تحت تأثير الضغط الجماهيري الشعبي، وتأخر أيضا اعتمادها في المنظومة التربوية وفي الامتحانات الرسمية لهذه المنظومة.

2- التواصل العامي: ويتم في غير الرسميات، وهو التواصل الأساسي في الجزائر، بل إن صح التعبير فإن اللغة العامية هي اللغة الأم الأصلية التي يستعملها المجتمع الجزائري في مختلف مقاماته التواصلية غير الرسمية.

4- مستوى التواصل الوظيفي: ونعني به استعمال اللغة لأغراض خاصة باعتباره تواصل مبني على مفهوم الحاجة أو الضرورة ويمثله استعمال اللغة الفرنسية بالدرجة الأولى واللغة الإنجليزية بالدرجة الثانية.

إن المتمتع في هذا المشهد اللغوي يمكنه ببسر وسهولة التنبه إلى خصائص هذا المشهد وهي تتمثل فيما يلي:

1- التعدد: باعتباره يعني حضور مستويات لغوية متعددة ضمن البيئة اللغوية الواحدة والنسيج المجتمعي الواحد، إذ نلمس حضور الفصحى والعامية والأمازيغية واللغات الأجنبية...

2- الثنائية: والتي تعني حضور نظامين لغويين مختلفين ضمن البيئة اللغوية الواحدة وهو بارز للعيان بين العربية والفرنسية

المحل، الذي لا يقبل إلا ملكة واحدة تامة. هذا وإن الاستعانة بالعامية - ولو كنظام مساعد في المدرسة أو المحيط التعليمي - سيؤدي كما يقول بعض الباحثين إلى حدوث ما يعرف بتأخر الوعي النظامي بقواعد الفصحى "علينا أن نعترف- تعليمياً وعلمياً- أن تعليم الفصحى بالعامية لا يؤدي بالضرورة إلى تعلم قواعد الفصحى ونظامها السليم، بل بالعكس سيؤدي إلى نتائج عكسية تؤخر حصول الوعي النظامي أو الصناعي بقواعدها، مثلما أن تعليم القواعد النحوية للفصحى بصفاتها أشكالاً وقوالب مجردة من المعاني مفصولة عن سياقاتها التداولية الحية وعن ذاكرتها الخطابية لا ينجح عنه تعلم يضاها اكتساب ما هو فطري أو طبيعي أو عامي، فهو لا يعني حصول الدرجة المطلوبة من "التمكّن التي نلاحظ فيها تقلص الأخطاء وتحسن المستوى، فالأمر منحصر بين استعمال القاعدة وقاعدة الاستعمال"⁽²⁰⁾ وبالتالي فإن هذا الإجراء له مخاطره على صعيد البناء اللغوي للمتعلم، وهويته الثقافية، ورصيده العلمي والمعرفي، بما يحدثه من تداخل لغوي وثقافي وعلمي بالمفهوم العلمي الدقيق لهذه المصطلحات، ويضيف إلى كل هذا بعد العامية عن الطابع المعياري (القاعدة) مما يجعل إقحامها في العملية التعليمية أمراً معقداً يقول أحد الباحثين: "لعل الأخذ بالدرجة لغة للتدريس عمل تعثره مجموعة من الصعوبات، فالنطق الدارجي يختلف من منطقة إلى أخرى بالزيادة والنقصان بالإنشاء والتحوير في الألفاظ ابتداءً أو انتهاءً، بالإضافة إلى أن الكلام الدارجي يتغير باستمرار بسبب التطور الذي يقع في المحيط وبسبب الاحتكاك مما يجعل ما يستجد من الألفاظ وما يضمحل ويتضاءل إلى حد الفناء، عملاً يجعل الدرجة رخوة وغير مطاوعة للانضباط في القواعد النحوية، خاصة وأن السر في كونها درجته ومسترسلة على أسنة العموم هو عدم خضوعها للضوابط الصرفية والنحوية وإن كانت غنية بالدلالات البلاغية، ولذلك فصعوبة البحث في معياريتها تكمن في قابليتها لاحتواء كل ما جد من كلمات يتلفظ بها الناس بتلقائية حسب طريقتهم في توظيف مخارج الحروف وطريقتهم في التواصل بالكيفيات الاختزالية التي دأبوا عليها"⁽²¹⁾ هذا، وقد سعى أحد الدارسين إلى إجمال مخاطر العامية على الفصحى فحددها فيما يلي⁽²²⁾:

- 1- تحدث خلطاً لغوياً في مستويات متعددة في المنطوق والمكتوب.
- 2- حصول الاستيعاب النظري والإتلاف التطبيقي لانعدام التكامل الإيجابي بين المدرسة والمجتمع أي الفصحى والعامية.
- 3- عدم التحكم في اللغة في الاستعمال لغياب المناخ المناسب.
- 4- حصول التداخل بينهما عفوية في التعلم، وذلك لطبيعة غياب الإدراك والوعي أصلاً عند المعلم.
- 5- مزاحمة العامية للفصحى ومحاولة التمرّد عليها في ظل غياب فقه العامية والفصحى لدى المعلم والمتعلم.

اللغة العربية الفصحى	تأثير وتأثر	العامية_اللهجات
اللغة العربية الفصحى	تأثير وتأثر	اللغات الأجنبية
العامية_اللهجات	تأثير وتأثر	اللغات الأجنبية
مخطط يوضح الواقع اللغوي في المدرسة الجزائرية		

وبتعبير آخر فإن التداخل اللغوي قد يحدث في مثل هذا الواقع، فيخلط المتعلم بين نظام اللغة العربية الفصحى، وبين نظام العامية أو اللهجات الأخرى المنتشرة في المحيط اللغوي للمتعلم، أو قد يخلط بين نظام الفصحى ونظام اللغات الأجنبية، أو بين اللهجات ونظام اللغات الأجنبية.

وفي ظل الدعوى التي نسمعها من حين لآخر - وإن كانت إعلامية أكثر منها شيء آخر- الداعية إلى إقحام المستوى العامي في عملية التعليم أي إقرار الازدواجية اللغوية في العملية التعليمية بما هي حضور مستويين لغويين ضمن النظام اللغوي الواحد (عامي وفصحى) في البيئة التعليمية، فإنه ينبغي لنا أن نحدد موقفاً من هذا الإجراء من خلال إبراز انعكاساته خاصة في المراحل العمرية واللغوية الأولى، وعليه نقول: إن إقرار الازدواجية داخل البيئة التعليمية إجراء له مخاطره الكبرى التي تتمثل أساساً في ظاهرة التهجين اللغوي أو التشويه اللغوي التي هي صورة من صور التداخل اللغوي، إذ يفرز الجمع بين الفصحى وعامياتها نوعاً من الاغتراب اللغوي والثقافي حيث يضع الفرد بين عالمين متناقضين فيستعمل النظام الفصحى ويجمع معه العامي أو يستعمل نظام اللغة الأم والفصحى فيؤدي به هذا إلى "هشاشة التواصل اللغوي"، كما قد يؤدي هذا الوضع إلى تأثيرات متنوعة في النظام اللغوي الفصحى فتنتقل عادات لغوية (صوتية- صرفية- تركيبية...) إلى اللغة الفصحى مما يشكل عائقاً أمام اكتساب النظام اللغوي الفصحى، ويضاف إلى كل هذا فإن هذا الإجراء سيؤدي بالضرورة إلى إعادة طرح العلاقة القديمة بين الفكر واللغة، فإن المتعلم قد تتداخل عليه الأنظمة اللغوية أثناء الأداء؛ فيفكر بنظام لغوي معين ويعبر بنظام آخر " وهذه الصعوبات تملئ بذل مجهودات مضيئة في تعلم الفصحى وإهدار وقت طويل في محاولة الترجمة بين الفصحى والعامية، وهذه الاستراتيجية لا تمكن الطفل من إتقان الفصحى كما يجب، لأنه في كل وضعية يلجأ إلى رصيده اللغوي من العامية يستعين به عند الإجابة أو الكتابة، ولولا هذه الازدواجية لأمكن للطفل تعلم الفصحى بسهولة ويسر"⁽¹⁹⁾، ولعلها القضية التي أشار إليها ابن خلدون سابقاً في حديثه عن "الملكة اللسانية" وتحصيلها وعلاقة ذلك باللغات الأخرى وبالأمعاجم تحديداً، فإن الملكة اللسانية في نظره لا تحصل إلا ناقصة إذا سبقتها ملكة إلى

6- لتعلم العربية الفصحى لا بد من بيئة فصيحة لأن اللغة نظام واستعمال.

7- الثنائية اللغوية (الازدواجية اللغوية) أفقدت الكثير من جمالية وبراعة العربية وتسربت على إثرها الكثير من الأخطاء الشائعة منها ما جمع في معاجم خاصة.

8- الثنائية اللغوية (الازدواجية اللغوية) وُدت حولا في غير صالح الفصحى منها ما يسمى بحلّ الإلغاء لكثير من الأساليب الفصيحة بحجة عدم الاستعمال أو بحجة التطوير، كما وُدت خطرا تمثل في الانحراف واللحن الذي دخل ساحة الاستعمال بقوة مما جعل منه القاعدة الشرعية، وأقحم في الفصحى إقحاما وهي غاضبة عليه.

9- يترك نظرة تتمثل في صعوبة العربية وتعقد قواعدها وعليه لا بد من البحث عن البديل الأيسر والأسهل وليس إلا في العامية لغة الاستعمال العام.

هذه التأثيرات والعوائق تجعل من عملية إقحام العامية في العملية التعليمية ضربا من المستحيل بسبب إفرزات هذا الإجراء هذا إذا علمنا سلفا أن العامية تشكل عائقا أحيانا في اكتساب النظام اللغوي الفصحى فما بالك باعتماده كلغة مساعدة في العملية التعليمية والسبب في ذلك يرجع إلى أن "العامية لا تبدأ بمتحرك وهو خلاف الفصحى، ومنها أن نظام لها في التصريف كما هو الحال في الفصحى، ومنها أن العامية تختلف اختلافا جذريا عن الفصحى في كثير من التراكيب ما أفرز خلافا صريحا في الدلالة والمعنى ومن ذلك قولهم (مات بالعياء) ويعنون تعب تعب شديدا، أما في الفصحى فإنها تعني الموت الحقيقي لا التعب الشديد"⁽²³⁾، واشترط بعضهم من أجل الاستعانة بالعامية قربها من الفصحى من جهة الأصوات والمفردات والتراكيب والنظام، باعتباره إجراء ييسر عملية التعليم بالنسبة للمتعلم والمعلم على حد سواء لكنه إجراء محض بالمخاطر وصعب التحقق ذلك أنه "مشروط بمدى استيعاب وفقه المعلم للعامية وخصائصها والفصحى وحقيقتها، وقدرته على التمييز بين الفصحى وغير الفصحى"⁽²⁴⁾، وهو كما نرى إجراء صعب التحقيق.

هذه التأثيرات والعوائق تجعل من عملية إقحام العامية في العملية التعليمية ضربا من المستحيل بسبب إفرزات هذا الإجراء هذا إذا علمنا سلفا أن العامية تشكل عائقا أحيانا في اكتساب النظام اللغوي الفصحى فما بالك باعتماده كلغة مساعدة في العملية التعليمية والسبب في ذلك يرجع إلى أن "العامية لا تبدأ بمتحرك وهو خلاف الفصحى، ومنها أن نظام لها في التصريف كما هو الحال في الفصحى، ومنها أن العامية تختلف اختلافا جذريا عن الفصحى في كثير من التراكيب ما أفرز خلافا صريحا في الدلالة والمعنى ومن ذلك قولهم (مات بالعياء) ويعنون تعب تعب شديدا، أما في الفصحى فإنها تعني الموت الحقيقي لا التعب الشديد"⁽²³⁾، واشترط بعضهم من أجل الاستعانة بالعامية قربها من الفصحى من جهة الأصوات والمفردات والتراكيب والنظام، باعتباره إجراء ييسر عملية التعليم بالنسبة للمتعلم والمعلم على حد سواء لكنه إجراء محض بالمخاطر وصعب التحقق ذلك أنه "مشروط بمدى استيعاب وفقه المعلم للعامية وخصائصها والفصحى وحقيقتها، وقدرته على التمييز بين الفصحى وغير الفصحى"⁽²⁴⁾، وهو كما نرى إجراء صعب التحقيق.

الهوامش والإحالات

- 1- عبد الرحمن بن محمد القعود، الازدواج اللغوي في العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1997، ط1، ص11.
- 2- جولييت غارمادي، اللسان الاجتماعية، تعريب: خليل أحمد خليل، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1990، ط1، ص152.
- 3- عبد الرحمن بن محمد القعود، المرجع السابق، ص11.
- 4- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، دت، دط، مادة (ز و ج)، ص1885.
- 5- عبد الرحمن بن محمد القعود، المرجع السابق، ص11.
- 6- قدور نبيلة، التداخل اللغوي بين العربية والفرنسية واثره في تعليمية اللغة الفرنسية في قسم اللغة العربية وأدابها، رسالة ماجستير مرقونة في اللغويات، جامعة قسنطينة، 2005/2006، ص36.
- 7- محمد علي الخولي، "تأثير التداخل اللغوي في تعلم اللغة الثانية"، مجلة الملك سعود، 1989، المجلد 1، ص11.
- 8- صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية، دار هومة، الجزائر، دت، ط3، ص128.
- 9- مهى محمود العتوم، "الازدواجية اللغوية في الأدب، نماذج شريفة تطبيقية"، مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب، المجلد4، ع1، ص168.
- 10- إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 2003، دط، ص15.
- 11- محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث، دار غريب، القاهرة، 2001، دط، ص64.
- 12- المرجع نفسه، ص66.
- 13- عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم- المنهج- الخصائص- التعليم- التحليل، عالم الكتب الحديث الأردن، 2009، دط، ص104.
- 14- مجد البرازي، مشكلات اللغة العربية المعاصرة، مكتبة الرسالة، عمان، 1989، ط1، ص55.
- 15- يوسف مقران، "واقع حال التعدد اللغوي في المدرسة الجزائرية (نحو بديل

6- لتعلم العربية الفصحى لا بد من بيئة فصيحة لأن اللغة نظام واستعمال.

7- الثنائية اللغوية (الازدواجية اللغوية) أفقدت الكثير من جمالية وبراعة العربية وتسربت على إثرها الكثير من الأخطاء الشائعة منها ما جمع في معاجم خاصة.

8- الثنائية اللغوية (الازدواجية اللغوية) وُدت حولا في غير صالح الفصحى منها ما يسمى بحلّ الإلغاء لكثير من الأساليب الفصيحة بحجة عدم الاستعمال أو بحجة التطوير، كما وُدت خطرا تمثل في الانحراف واللحن الذي دخل ساحة الاستعمال بقوة مما جعل منه القاعدة الشرعية، وأقحم في الفصحى إقحاما وهي غاضبة عليه.

9- يترك نظرة تتمثل في صعوبة العربية وتعقد قواعدها وعليه لا بد من البحث عن البديل الأيسر والأسهل وليس إلا في العامية لغة الاستعمال العام.

هذه التأثيرات والعوائق تجعل من عملية إقحام العامية في العملية التعليمية ضربا من المستحيل بسبب إفرزات هذا الإجراء هذا إذا علمنا سلفا أن العامية تشكل عائقا أحيانا في اكتساب النظام اللغوي الفصحى فما بالك باعتماده كلغة مساعدة في العملية التعليمية والسبب في ذلك يرجع إلى أن "العامية لا تبدأ بمتحرك وهو خلاف الفصحى، ومنها أن نظام لها في التصريف كما هو الحال في الفصحى، ومنها أن العامية تختلف اختلافا جذريا عن الفصحى في كثير من التراكيب ما أفرز خلافا صريحا في الدلالة والمعنى ومن ذلك قولهم (مات بالعياء) ويعنون تعب تعب شديدا، أما في الفصحى فإنها تعني الموت الحقيقي لا التعب الشديد"⁽²³⁾، واشترط بعضهم من أجل الاستعانة بالعامية قربها من الفصحى من جهة الأصوات والمفردات والتراكيب والنظام، باعتباره إجراء ييسر عملية التعليم بالنسبة للمتعلم والمعلم على حد سواء لكنه إجراء محض بالمخاطر وصعب التحقق ذلك أنه "مشروط بمدى استيعاب وفقه المعلم للعامية وخصائصها والفصحى وحقيقتها، وقدرته على التمييز بين الفصحى وغير الفصحى"⁽²⁴⁾، وهو كما نرى إجراء صعب التحقيق.

2. الحول

قد تبين لنا من المحطات السابقة أن العامية قد تشكل خطرا كبيرا في المحيط التعليمي على عملية اكتساب اللغة العربية الفصيحة وذلك لخصوصية العامية وطبيعتها التركيبية والصوتية والدلالية، وعليه فإن الإجراء القائم على إقحامها في العملية التعليمية بصفة عامة قد يتحول إلى مشكل عميق ليس فقط على المسار اللغوي للمتعلم وإنما أيضا على كفاءاته العلمية، وانتماءاته الثقافية، وطرق تفكيره أيضا، وبالتالي تفقد هذه الدعوى مشروعيتها بمواجهتها بكل هذه الأمور وقد اقترح بعض الباحثين بدل هذا الإجراء أمورا أخرى تمكنا من تجنب خطر الازدواجية وانعكاساتها في العملية التعليمية ومن ذلك:

- أفضل: اللغة الجامعة"، أعمال الملتقى الدولي: التعدد اللغوي واللغة الجامعة، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2012، ص15
- 16- جيلالي بن يشو، "التعدد اللغوي في الجزائر مظاهره وانعكاساته" أعمال الملتقى الدولي: التعدد اللغوي واللغة الجامعة، ص57.
- 17- أنيس فريحت، نحو عربية ميسرة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، 1995، ص16.
- 18- بيع كيفوش، "جدل الفصحى والعامية في تعليم اللغة العربية"، مجلة الناص، جامعة جيجل، ع11، جوان 2012، ص210.
- 19- صالح بلعيد، في الأمن اللغوي، دط. الجزائر: 2010، دار هومة، ص230.
- 20- سلوى العباسي، "التعليم بالعامية سيؤدي إلى تأخر الوعي لدى الطفل"، حوار أجراه الصحفي: عثمان الحياتي، جريدة الخبر الجزائرية، عدد 14 أوت 2015.
- 21- عبد الجبار بهم، "لغة التدريس بين العربية والدارجة" مقال ضمن الموقع الإلكتروني: <http://essaouiranews.com/>
- 22- عمار ساسي، المرجع السابق، ص111 وما بعدها.
- 23- المرجع نفسه، ص113.
- 24- المرجع نفسه، ص113.
- 25- المرجع نفسه، ص115.
- 26- ربيع كيفوش، المرجع السابق، ص212.